

المحاضرة العاشرة

الفلسفة الإسلامية: علم الكلام: التيارات الكلامية:

أولاً: التيار السلفي

يقسم الباحثون في علم الكلام الإسلامي هذا العلم لأربعة تيارات، التيار السلفي، العقلي، التوفيقى، الصوفى.

أولاً : التيار السلفي : السلف في اللغة يعني الماضي ، وفي الاصطلاح : تيار كلامي ظهر في نطاق الفكر الإسلامي يدعو للرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح زمن النبي (ص) والصحابة الكرام ، فشكل بذلك دعامة تحمى المجتمع من الأفكار الوافدة والثقافات الأجنبية ، ولكنه في الوقت نفسه حرم المجتمع من الاستفادة من التطور العلمي الذي بلغته المجتمعات ، وما يميزه :

أولاً : المصدر المعرفي : تعد الشريعة المصدر المعرفي الوحيد ولا يجوز الرجوع للعقل لأنه محدود ولا يدرك مراد الشريعة الإلهية .

ثانياً: الأخذ بظاهر الشريعة : مادامت الشريعة من الله فيجب العمل بظاهرها (حرفيه النص) حتى وإن تباين مع العقل ، ولا يجوز التأويل لأنه ((لا يعلم تأويله إلا الله)) .

ثالثاً : صفات الله : إن الأخذ بظاهر الشريعة يعني أنهم أثبتوا كل ما ورد في القرآن من صفات الله كاليد والعين والاسنان والوجه وغير ذلك .

رابعاً : عقيدة الجبر: يذهب التيار السلفي أن الله خالق الأفعال، لأنه تعالى يقول ((هل من خالق غير الله))، ولكن الله ذكر في آية أخرى تعدد الخالقين ((فتبارك الله أحسن الخالقين))، وقد اعتمد الحكم على هذا التيار في بيان إنما أعمالهم من الله.

لقد ظهر في نطاق هذا التيار عدة شخصيات أولهم الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ الذي ينتمي إليه التيار، وهو زعيم المذهب الحنفي أحد المذاهب الفقهية، وقد خاض ما عرف بفتنته خلق القرآن أيام المؤمنون والمعتصم والواثق، وفي القرن الثامن الهجري ظهرت شخصية تركت أثراً كبيراً في هذا التيار ألا وهو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الذي أحدث انقلاباً في الفكر السلفي، ففي التوحيد أثبت جميع الصفات الواردة في القرآن الله دون تأويل، مما أدخله في التشبيه والتتجسيم، أما فيما يخص أصل النبوة فأنكر ما يقوم به المسلمين من توسل بالنبي (ص) وزيارة لمرقده الشريف وعد ذلك غلواً وشركًا بالله، مما دعا قضاة المذاهب الأربع (الشافعى والحنفى والمالکى والحنفى) لدعوتهم للتراجع إلا أنه لم يتراجع فأمرروا بحبسه حتى مات في السجن عام ٧٢٨ هـ، وفي القرن الثالث عشر الهجرى/الثامن عشر الميلادي ظهرت شخصية جديدة حولت أفكار شيخ الإسلام إلى واقع عملي ألا وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي ظهر في بلاد نجد والحجاز، وخاض حروباً ضد المناطق المجاورة لضمها إلى دعوته متعاوناً مع محمد بن سعود فتمكنوا من تأسيس الدولة السعودية الأولى، وقد تمكن من هدم مراقد الصحابة والأولياء والصالحين وهاجموا كربلاء ونهبوا كل ما فيها من جواهر وحلي بعد أن قتلوا أعداد من المسلمين عدت بالآلاف.

ثانياً: التيار العقلي

بعد التيار العقلي من أوسع التيارات في الفكر الإسلامي لأنه تمكن من توجيه الخطاب للمسلمين وغير المسلمين وذلك باتخاذه العقل أداة للتخطاب مع الآخر. ويتميز هذا التيار :

١ - المصدر المعرفي: يعد العقل المصدر المعرفي لهذا التيار، وبالعقل تفهم الشريعة، ثم أن العقول سابقة للشرع، فلا تأتي الشريعة إلا إذا وجد العقل، فالشريعة لا تخطب الصبي ولا النائم ولا المجنون ولا السكران لأنهم بلا عقل. ومن خلال العقل تمكّن أصحاب هذا التيار من مخاطبة الآخر (غير المسلم) الذي لا يؤمن بالقرآن والسنة النبوية .

٢ - التأويل: هو صرف الكلمة عن معناها الظاهري إلى معنى مجازي، فمثلاً أن كلمة (العين) تعني تلك الجارحة التي يرى من خلالها الرائي ، ولكن أحياناً تأتي هذه الكلمة ويراد منها معنى

آخر ، فمثلاً قول أحدهم ((شربت من عين صافية)) ، فهنا كلمة عين لا تعني تلك الجارحة وإنما يقصد بها مكان يخرج منه ماء نقى يقال له مجازاً (عين) ، وكذا يقال (فلان عين لفلان) أي بمعنى جاسوس . وجد العقليون أن هناك آيات تفيد التجسيم كقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) ، ((تجري بأعيننا)) و ((كل شيء هالك إلا وجهه)) ، ولما كان العقليون يرون استحالة أن يكون الله جسماً لذا أتوا (صرفوا) ظاهر هذه الآيات إلى معانٍ مجازية ، فقالوا أن اليد تعني (عون الله وقدرته وتسديده) ، والعين تعني (الرعاية) ، والوجه يعني (البهاء والسلطان) وهكذا باقي الآيات ، وقد احتجوا بجواز التأويل بقوله تعالى ((لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)) .

٣ - حرية الإرادة : إن الله سبحانه وتعالى منح الإنسان امتيازاً عن سائر المخلوقات وهو (العقل) ، وهذا الامتياز لم يكن عبيداً إنما مقابل تكليفه بمهمة كبيرة وهي أن الله اتخذ خليفة في الأرض ، وكلفه بهذه المسؤولية ، ولكن هذه المسؤولية تقتضي أن يكون الإنسان حراً في إرادته ، لكي يحاسبه الله (الثواب والعقاب) في نهاية خلافته ، من هنا قال العقليون بحرية الإرادة .
العقل(امتياز) – تكليف(خلافة الله) – حرية الإرادة(العمل) – الجزاء (الثواب والعقاب)
وقد تمثل هذا التيار بعدد من الفرق الكلامية كالمعتزلة والامامية والزيدية وغيرهم .